

المثل السائر

ألا ترى أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الألفاظ كتراكبها في بيت أبي الطيب المتقدم ذكره .

فإن قيل إنك جعلت ما كان وارداً على صيغة واحدة على سبيل التكرار معاطلة وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى (فإذا انسَلَخَ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد) ولو كان معاطلة لما ورد في القرآن الكريم مثله .

فالجواب عن ذلك أني أقول هذه الآية ليست كالذي أنكرته فإن هذا الموضع ينظر فيه إلى الكثير والقليل فإذا كثر كان تعاطلاً لتراكبه وثقله على النطق وقد عرفت أن ما يفصل بين صيغة بواو العطف يكون أقل ثقلاً مما لا يفصل والذي أنكرته من ذلك هو أن تأتي ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها عقد متصلة فحينئذ يثقل المنطق بها ويكره موقعها من السمع كبيت أبي الطيب المتنبي وأما هذه الآية المشار إليها فإنها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى أنها لما وردت ألفاظها على صيغة واحدة فرق بينها بواو العطف ثم مع التفريق بينهما بواو العطف لم يرد التكرير فيها إلا بين ثنتين وهما (خذوهم واحصوهم) وأما الصيغة الأولى فإنها أضيف إليها كلام آخر فقل (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة أضيف إليها كلام آخر أيضاً فقل (واقعدوا لهم كل مرصد) لا جرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارد صيغة الأمر فيها أربع مرار وهذه رموز ينبغي أن يتنبه لها في استعمال الألفاظ إذا جاءت هكذا .

القسم الرابع من المعاطلة وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقولهم سرج فرس غلام زيد وإن زيد على ذلك قيل لبد سرج فرس غلام زيد وهذا أشد قبحا وأثقل على اللسان وعليه ورد قول ابن بابك الشاعر في مفتتح قصيدة له .

(حَمَامَةٌ جَرَّعَا حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي ... فَأَنْتِ بِمَرٍّ أَيْ مَرْنُ
سُعَادَ وَمَسْمَعِ)